بنت المدرسة

خطاب لخليل بك سعد القاه في حفلة جمعية تهذيب الفتاة السورية في الشويفات في ١١ ايار سنة ١٩١٠

ايتها السيدات واياها السادات

اسعدني وافر الحظ بان اقف اليوم فيكم خطيباً فاخترت لكلامي موضوعاً كبيراً مثل حبكم . كيف لا وهو بنت المدرسة . تلك الابنة التي نقتادها اليوم الى المدرسة الداخلية لتقودنا غداً في المدرسة الخارجية ـ مدرسة العالم الواسع حيث تستلم قيادة الهيئة الاجتماعية فتسوقها تبعاً لاستعدادها وما تشاء . اما الى السعادة واما الى الشقاء ـ الى هذه الابنة الكبيرة الصغيرة اوجه خطابي رجاء ان ابين لها ماضيها وحاضرها فتعلم من كانت ومن هي الآن ومن ستكون في مستقبل الايام

اما ماضي بنت المدرسة فقد كان مظلماً مدلهماً . لان اجدادنا كانوا يحتقرون المراة لاسباب جمة اخصها سببان . الاول انهم كانوا يرون في الصبي رجل البيت وعضد المستقبل فيحتقرون اختهُ لعدم نفعها لهم نفعاً مادياً فاعرضوا عن تعليمها لانها لاتستخدم في الديوان و باقي الوظائف كاخيها . والثاني انهم كانوا يعتقدون ان العلم على قلة نفعه لها يفتح عينيها على الشر فيصير بامكانها مكاتبة الرجال ـ لله درهم فقد احرمونا بجهلهم هذا من التمتع بنفثات اقلامكن وغفلوا عن حقيقة المبدا العمراني الشامل وهو ان الطبيعة نفسها تعلم الجنسين كيف يلتقيان ولو لم يدرسا المعاني والبيان

وما يدلنا على مبلغ احتقار المراة في العصر السابق ان بعض الرجال كان ان ذكر زوجته قال اجلك امراتي . فاذا جلس الى ضيوفه اكل معهم مريئاً وشرب هنيئاً وتركها تأكل فضلات ما طبخت في زاوية كانها من بعض خدم اليوم . ولذلك فلا نستغرب عدم الاهتمام بتعليمها اذ ذاك لانهم عدوها سلعة تشترى وتباع واناء للولادة لا ملاكاً في تعليمه السعادة كما نعدها نحن اليوم

وقبل سنة الستين من العصر الماضي و بعده بقليل كانت البنات يتلقين القرأة والكتابة مع اخواتهن في مدرسة الشيخ والخوري والشدياق على الواح تكتب عليها الدروس بما الدلغان او الحوارة . وبعد ذلك فتحت مدارس خاصة لتعليم البنات اخصها في بيروت المدرسة الانجيلية السورية الاميركان ومدارس الراهبات العازريات والبروسيانيات والناصرة ومسزموت وزهرة الاحسان . وفي الجبل مدرسة شملان وغيرها وهذا الصرح العلمي الذي يضمنا الان . فتغيرت الحال وصار الاباء ينفقون على بناتهم بسخا بعد ان كانوا يأبون تعليمهم ولو مجاناً

اما حاضر بنت المدرسة فحسن من بعض وجوهه وغير حسن من البعض الاخر حسن جداً ان نرى تقاطر البنات الى المدارس مما يدل على رغبة الاباء في تعليمهن واحسن منه ان نجد الكثيرات منهن راقيات في علومهن . راقيات في افكارهن . راقيات في معرفة واجباتهن . غير انه يسوءنا ان نرى ايضاً بعض المتخرجات في المدارس لا يتلقين من العلوم والمعارف ما ينفعن به العمران فانا الان في حالة العبور من دور الى دور ويهمنا جداً تثقيف عقل بنت المدرسة على ما يلائم مركزها في هيئتنا الاجتماعية . فالكثيرات من متخرجات المدارس الان يعدن الى بيوت اباءهن مشربات المبادى . الضارة لا النافعة فترى بعض البنات المتعلمات يترفعن عن والديهن و يتعنتن في المأكول والمشروب والملبوس وغيره كأنهن قد خلقن جديدا من طينة جديدة فيصرن عيالاً على والديهن . وحالما ينتظمن في سلك العالم يصرن مثل غيرهن وما ذلك الا لنقص في تعاليم بعض مدارسنا

اما مستقبل بنت المدرسة عندنا فتوقف على مدارسنا الاعدادية من حيث تقديرها واجبات المراة حق قدرها . وهنا لا بد لي من بيان مستقبل المتعلمات ومبلغ واجباتهن في الهيئة الاجتماعية ليعلم من ذلك كيف يجب ان تعد الابنة لتملأ مركزها الاتي بجدارة وكفاءة . فالمدارس تعد الطبيب ليكون منقذاً للمرضى بمحاربته الامراض وتعلم الجندي كيف يفوز في مواقع الحرب وللتاجر كيف يفوز بالربح فتعد كلا من هؤلاء لمركزه الخاص . اما مدارس البنات فيظهر ان بعضها لا يقدر مركز المراة المستقبل حق قدره فلم يعدها له ولذلك فاسمحي لي يا بنت المدرسة بان ابين لك من انت على

سبيل الذكرى لعلك تطالبين بحقوقك فتنتفعين وتنفعين

فانك ستعودين الى بيت ابيك حيث ينتظرك الاهل والصديقات لتكوني قدوةً حسنة تضيئين في وسطهم ضياء الشمس المشرقة فيستفيد كل من يعاشرك من آدابك

ثم ان الطبيعة ستتوجك ملكة على مملكة صغيرة هو بيتك الجديد فتشاركين الرجل في الحكم عليها فتستلمين زمام الامور الداخلية وهو قياد الامور الخارجية . فواجباتك في هذه المملكة عظيمة الاهمية جداً فعليك ان تستعدي لها عليك ان تستعدى لتعرفي كيف تعاشرين الزوج والحماة وكيف تشرفين على اعمال الخدم ومهام البيت من ردهة الاستقبال الى غرفة المطبخ فاذا ما تعلمت اعمال البيت في هذه المدرسة فستضطرين الى دخول مدرسة ثانية هي مدرسة الاختبار فتكونين قد اضعت الوقت هنا سدى :تعلمي جميع ما تطلبه حاجات البيت فان كنت ملكة غنية فتشرفين على اعمال خدمك اشرافاً والا فعلمك ياتيك باكبر الفوائد

واعلمي ان الطبيعة ستضع يوماً ما بين يديك طفلاً صغيراً غض الجسم طري العقل كثير الطواعية لتكيفيه على مقتضى ما تعلمت وما تهذبت . وما العالم اجمع الا طفلك ومن ماثله فاذا خاطبته خاطبت العالم واذا هذبته هذبت العالم واذا هززت سريره هززت العالم قاطبةً .

ولذلك فاعلمي يا بنت المدرسة ان الف وخمس مئة مليون نفس وهم اهل العالم ينظرون اليك بعين الامل فاما ان تقذفي الى محيطهم رعاعاً يعيشون في الارض فساداً واما ان تهدي الى العالم بنين وبنات يؤسسون الهيكل العمراني على اسس وطيدة فعلى مبلغ علمك وتهذيبك يتوقف سعادة العالم اجمع . فان بقيت منحطة بقي معك وان نهضت نهض معك . لانك انت لا اخاك مهذبة النسل وقائدة العمران

قال نابوليون الاول اعطوني امراة راقية فاعطيكم بلاداً راقية . فتعلمي وارتقي فان الوطن ينظر اليك لتربي له ناشئة راقية — لتقتلعي الاوهام من العقول وتبثي الحقائق مكانها لتنزعي العادات الضارة — لتستأصلي التعصب الذميم من القلوب — لتخفقي مصيبة الكذب افة الشرق — وتعدي رجالاً للمستقبل اعزاء النفوس قوي البادي

وان من كان لها هذا المركز السامي في الهيئة الاجتماعية لحرية بان ينظر في تعليمها وتثقيفها بعين الاهمية القصوى

وهنا استميح معذرة المعلمات الفاضلات فاذكرهن بامريساعدهن كثيراً على ترسيخ المبادىء الادبية في عقول التلميذات وهو ان يشرحن لهن كيفية معاشرة الزوج والاعتناء بالبيت وتربية الصغار وسياسة الخدم وغير ذلك مما يهم بنت المدرسة في مستقبلها ثم يكلفنهن بصوغ هذه الشروح انشاء فياتين في اخر كل اسبوع خطبة في موضوع من هذه المواضيع الكثيرة الفائدة

وقبل ان اختم كلامي اسمحي لي يا صديقتي الصغيرة بان انبه افكارك الى وجود آفات كثيرة دخلت هيئتنا الاجتماعية الشرقية . ففيها كشف الصدور وهز الخصور في البالات . فيها قتل الاطفال بضيق المشدات . فيها القناطير المقنطرة من الكشاكش والخروج وما لا يحيط به العد من التيلات والطيات والغبنات وباقي الضربات حتى ان المتفننة بالازياء تتعرقل مشيتها فيصح فيها القول .

تهتز وهي مكانها فكأنها هي زلزلة

فعليك ان تخففي بعض هذا المصاب وامثاله وان تتحلي بتبر العلم في راسك وقلائد جوهر الاداب في عنقك وترتشفين ماء الحياة بالدين وتشفقين على الهيئة الاجتماعية بتهذيب من يوكل اليك امرهم بعد حين فتكسبين اجر رب العالمين .

نسمات الروض

يقولون نحن اخوان قلوبنا معطرة بالمر واللبان قبلاتنا احر من النيران تثمرها سيول المحبة والاحسان متدفقة من الروح الى الروح

يقولون نحن اصدقاء عهودنا كالشجرة الخضراء خيالكم بقلبنا لا يزول محبتنا كمياه الصخر المتفجرة على انخفاضات لبنان تجري «من الروح الى الروح»

يقولون نحن نحب الصادقين لاننا نبر بالوعد واليمين «نحبكم حب الموت